

# فصلنامه تحقيقات جديد درعلوم انساني

#### **Human Sciences Research Journal**

دوره چهارم، شماره ۲۸، تابستان ۱۳۹۹، صص ۲۹۰-۲۷۹ New Period 4, No 28, 2020, P 279-290

ISSN (2476-7018)

شماره شایا (۲۰۱۸–۲۶۷۳)

# تجليات الاغتراب في شعر القتال الكلابي

م. د. كاظم خضير القاضي

# الملّخص

الاغتراب ظاهرة انسانية (سايكو اجتماعية) تقوم على التنافر بين الذات والمجتمع او الذات والاخر، ترجع اسبابها الى عوامل مكانية وزمانية ودينية وتنشأ عن ظروف قاهرة لمأسأة عاشها الفرد، او لتجربة ظرفية سحرية يشعر معها الانسان بالانسلاخ والاستلاب وضعف القدرة على التكيف والموائمة مع المجتمع، وقد يتبع هذا الاحساس كثير من التخيلات والحدس المنعش والهذيان وغيرها من التداعيات التي وجدناها حاضرة بقوة في اشعار القتال الكلابي وشعراء اخرين احاقت بهم دائرة التوحد والاغتراب. وعلى الرغم من شيوع ظاهرة الاغتراب في الادب العربي لم تتجاوز التعريفات التي وضعت لها حدود الدلالات الغربية المعاصرة والتي اختمر معضمها في فضاء معرفي خاص له حيثياته وبواعثه التي قد تتجانس مع الثقافة العربية او تتنافر معها، الامر الذي يحتم علينا معاينة مفهوم الاغتراب في الثقافة العربية وتقصى دلالاته المختلفة، وقد اتخذنا من اشعار القتال الكلابي منطلقا لفهم ومعاينة تلك الظاهرة.





# Manifestation of alienation of kital el kalby

Kadheem khudheer Kadheem
PhD Literatur Ancient, Ministry of education, department of Thi-Qar
education province

#### Abstract:

Alienation is a human phenomenon (Psycho social) based on dissonance between the self and society or the self and the other, due to spatial, temporal and religious factors and arise from the compelling circumstances of the tragedy experienced by the individual, or to experience a magical circumstantial with which human beings feel separation and alienation and the weak ability to adapt and adapt to society. This sense is followed by many imaginations, refreshing intuition, delirium and other repercussions that we have found strongly in the notice of al-qital alkulabi and other poets caught up in the circle of autism and alienation. In spite of the prevalence of the phenomenon of alienation in the Arab literature, the definitions that have been set for it have not exceeded the limits of the contemporary Western connotations, and most of them are brewed in a special knowledge space that has its own reasons and motives that may harmonize with or interfere with the Arab culture. Its various connotations, we have taken from the notice of al-qital alkulabi based on the understanding and preview of that phenomenon

#### توطئة:

الاغتراب ظاهرة إنسانية (سايكو اجتماعية) تقوم على التنافر بين الذات والمجتمع او الذات والاخر، ترجع اسبابها الى عوامل مكانية وزمانية ودينية وتنشأ عن ظروف قاهرة لمأساة عاشها الفرد, أو لتجربة ظرفية سحرية يشعر معها الانسان بالانسلاخ والاستلاب وضعف القدرة على التكيف مع المجتمع(۱) وقد يتبع هذا الاحساس كثير من التخيلات والحدس المنعش والهذيان وغيرها من التداعيات التى وجدناها حاضرة فى اشعار القتال الكلابي وغيره من الشعراء العرب الذين احاقت بهم دائرة التوحد والاغتراب كالشعراء الصعاليك والخلعاء وعنترة وطرفة بن العبد (۲) والكميت والطرماح وابى عبيدة بن قيس الرقيات وابو نؤاس وابى تمام والمتنبى والمعرى (۳) فالشعور بالاغتراب مترسخ ومتناه فى القدم والاتساع ولا يخص عصر معين او طائفة من الشعراء، فهى ظاهرة انسانية عامة، لها ما يميزها فى الادب العربى (۴) وعلى الرغم من شيوع هذه الظاهرة فى الادب العربى لم يتجاوز مفهوم الاغتراب حدود الدلالات الغربية المعاصرة التى اختمر معظمها فى فضاء معرفى خاص له حيثياته وبواعثه التى قد تتجانس مع الثقافة العربية او تتنافر معها، الامر الذى يحتم علينا معاينة معرفى خاص له حيثياته وبواعثه التى قد تتجانس مع الثقافة العربية او تتنافر معها، الامر الذى يحتم علينا معاينة مفهوم الاغتراب فى الثقافة الغربية وتقصى دلالاته المختلفة ليتسنى لنا تعبيد الطريق لهذه الدراسة.



# تحديدات اولية:

### اولا: الاغتراب لغة واصلاحا:

اتفقت المعاجم العربية على ان الاغتراب هو البعد والنَّوى والغربة عن الوطن، ففى معجم العين: (الاغتراب من الوطن، وغرب فلان عنا يغرب غرباً، أى تنحى، وأغربته وغرَّبته، أى نحيته، والغربة: النوى والبعد (۵) اما ابن منظور فيقول:(الغربُ: الذهاب والتنحى عن الناس، وقد غرب عنا، يغربُ، غربًا. . وغَربَ وأغرب وغرَبه وأغربَه أى نحَّاه، والغربة والغرب: النزوح عن الوطن والاغتراب.)(۶) وكلمة غربة تقال فى الاغتراب عن الحال (۷)

و الاغتراب عاطفة تستولى على المرء فيعيش حالة من القلق والكآبة لشعوره بالبعد عمّا يرغب فيه .وقد تبرز هذه العاطفة في شكلين أحدهما في حالة الابتعاد عن ديار الأحبة، فيعبر المغترب (الشاعر) عن مشاعره بصور وأخيلة ومعان تختلف جودة وعمقاً باختلاف الشخصية المبتكرة، والثاني في حالة الشعور بأن العالم كله سجن أقحم فيه الانسان مرغما، فكبّله بقيوده، وغمره بشروره و آلامه، فهو يحس بأنه غريب بين أهله، وقد شاع هذا النوع من الغربة في أشعار الرومانسيين، وبلغ أوضح ملامحه في أشعار المتصوفين كالحلاج، وابن الفارض، وابن عربي (٨) والاغتراب يتكون من ثلاث مراحل متصلة اتصالاً وثيقاً فالمرحلة الأولى تتكون نتيجة لوضع الفرد في البناء الاجتماعي، ويتدخل وعي الفرد لوضعه في تشكيل المرحلة الثانية، أما المرحلة الثالثة فتنعكس على تصرفه إنساناً مغترباً على وفق الخيارات المتاحة أمامه.)(٩)

# ثانيا: المفهوم الاصطلاحي الفلسفي للاغتراب

يستمد مصطلح الاغتراب (Alienation) معناه من فعل (Alienare) اللاتيني ويعنى تحويل شيء لملكية شخص آخر، أو الانتزاع والإزالة وهذا الفعل مستمد بدوره من فعل آخر هو (Aliens) أى ينتمى الآخر إلى شخص آخر أو يتعلق به، وهذا الفعل الأخير مستمد بصفة نهائية من لفظ (Alius) الذي يعنى الآخر سواء كان اسم أو صفة، ثم تعددت استخدامات هذا المصطلح، ليشير الى الاغتراب الداخلى والاغتراب الديني، ثم اتسع ليشير لاغتراب الذات عن واجباتها (١٠) وقد كان لليونانيين محاولاتهم الخاصة في تحديد هذه المفهوم اذ (كانوا يُريدون بالاغتراب حرمان الإنسان من حقه الطبيعي أو القانوني، وكان أفلاطون ? الذي اغترب عن أخلاقيات عصره ومجتمعه، ودعا إلى إقامة جمهورية فاضلة يحكمها الفلاسفة حتى يتحقق العدل- يقصد به ابتعاد الإنسان عن عالم المثل، وعيشه في عالم أرضى طارئ بدون إرادته). (١١) ويعد الاغتراب عند هيجل اعتزالا دينياً (طبقاً للتصورات المسيحية عن الخطيئة والسقوط والطرد والحرمان، وهذا المعنى سيتعمَّق أكثر لدى الهيجليين الشبان؛ من أمثال باور (١٩٩١-١٨٥٠م)، وفيورباخ (١٠/١-١٨٥٧م)، وفيورباخ أن الكشف عن الاغتراب لا يتم إلا من خلال فلسفة الدين. فالاغتراب ؟أساساً- هو الاغتراب الديني، والاغتراب الديني هو أساس كل اغتراب فلسفي أو اجتماعي أو نونسي)\*



ويرى أريك فروم إن الاغتراب (نمط من التجربة يعيش فيها الإنسان كشىء غريب، ويمكن القول إنه أصبح غريبا عن نفسه، إنه لا يعود يعيش نفسه كمركز للعالم وكمحرك لأفعاله)(١٢) فالإنسان وفقا لرؤية فروم يبدع أوثانا يسجد لها وأصناما يعبدها، وهنا يكمن جوهر الاغتراب. في عملية الاغتراب اذ يتنازل المرء عن نفسه إزاء استسلامه لقيم المجتمع السائدة (١٣) و يرى فروم بأن الاغتراب البشرى بدأ عندما انفصلت الذات المثالية عن رحم الطبيعة الميتافيزيقية و ذلك بسبب الأثم الذي ارتكبه الوالد البدئي (آدم) و هو تجاوزه للحدود الذي وضع له الخالق و اكله من ثمرة شجرة المعرفة. هذه المقاربة الميثولوجية التي بدأ بها فروم هي فقط اشارة و توظيف رمزى و استعارى لأزلية و قدم حالة الغربة و الحيرة و انه يعتقد بأن بقاءه (الفرد) منذ ذلك الزمان و لحد الآن هو تأملات و تخيلات يوتوبية لأجل دفع الاثم عليه كي يحصل مرة اخرى على النعمة الآدنية (اشارة الى جنة عدن) التي كان الوالد ضربها عرض الحائط و حاول رفض الوصاية على وجوده. هذا التوظيف للرموز الميثولوجية يعطينا القناعة بان العامل الذاتي المنبعث في العمق الداخلي للفرد له الدور المماثل بل الاقوى في التغييرات التي تحصل على الشخصية بصورة عامة. (١٤)

وهذا التوصيف الذي قدمه فروم يترجم لنا بإمعان دقيق البواعث النفسية للعقل الجمعى التي تدفع دائما وابدا الى الاعتزال و الشعور بالاغتراب، كما يترجم واقع الخطيئة والرفض التي مثلها الشاعر - كما سنرى - فهو (يمثّل صورة متطرّفة لمقاومة كل ما سنتًه الدولة من تنظيمات كما يُمثّل الثورة على الاستقرار)(١٥) ويبدو ان مفهوم الدولة افرغ عند القتال الكلابي سيكولوجيا بالأبوة التي انسلخ عنها ولم يعد يشعر بها او يدين لها بالولاء والطاعة. وما يبيح لنا مثل هذا التأويل بروز الملمح العجائبي في بعض الروايات التي تحدثت عن حياة الشاعر وادخلتها في نسق اسطوري عام اذ اختلطت هذه الحكايات بالموروثات الاسطورية التي تناقلتها بكر بن كلاب قبيلة الشاعر فقد (مضى على تحدر هذا الموروث القبلي بين اساطير القبيلة وحكاياتها زمنا طويلا مما سمح للخيال بشيء من التزايد واعادة واعان على ذلك تلك الطبيعة الاجرامية التي لم تكن بعيدة عن القتال، وحفز اليه طبيعة جانب من الرواية عن الاعراب يومئذ، وهي طبيعة فضحها الجاحظ بقوله: (انهم اي الكثر)فاذا استأنسنا بهذا الراي لم نبعد في الاستنتاج اذا ظننا ان اخبار القتال قد واجهت شيئا من هذه المظاهر اكثر)

### نوازع القلق ومظاهر الاغتراب عند القتال الكلابي:

تظافرت عوامل كثيرة على تعميق شعور الاغتراب عند الشاعر منها عوامل مباشرة واخرى غير مباشرة نستطيع اجمالها بما يأتي:



# ١- التناشز الاجتماعي وصراع الحضارة و البداوة:

ولد القتال الكلابي عبيد بن مجيب بن المضرحي الكلابي أواخر العصر الجاهلي، وعاش في الإسلام حتى أيام عبد الملك بن مروان وقد شهدت هذه الفترة التي عاشها الشاعر – والتي تمتد الى اكثر من نصف قرن – بيدلات اجتماعية كبيرة تحولت معها بعض الاقاليم والامصار العربية التي تحيط بها الى مدن واسعة الثراء فاحشة الترف بما خلفه الصحابة من اموال طائلة وثروات كبيره جلبوها من البلدان المفتوحة، فقد كانت تفد على مدن مثل مكة والمدينة اموال الخراج والغنائم والجزية التي فرضها المسلمون على الامم والبلدان المفتوحة، وقد لحق هذا الثراء ظهور المباهج والزينة والبناء والقصور فقد طعموا وشربوا في اواني الذهب والفضة ولبسوا الخز والديباج والاستبرق والحلل الموشاة وغالوا في ذلك كثيرا(١٧) قبال ذلك لم تتغير بعض الاقاليم وبقيت على سيرتها الاولى بما عليها من شظف وامحال، ومن تلك البقاع اقليم نجد موطن البداوة والتصحر الذي نشأ فيه القتال الكلابي قبل ان يترك اثره البالغ وبصماته الواضحة على شخصية القتال الموحشة. فمثل هذا التفاوت الاجتماعي لا بد ان يترك اثره البالغ وبصماته الواضحة على شخصية القتال الكلابي (١٨) خصوصا وان الدولة الاسلامية بعد وفاة الرسول الاكرم وانتهاء الفترة الراشدة صارت تفرض الكلابي راما البدوية ومن بينها كلاب التي فرضت عليها اعمال (السخرة) في مناجم المعادن والذهب القريبة عليها القبائل البدوية ومن بينها كلاب التي فرضت عليها اعمال (السخرة) في مناجم المعادن والذهب القريبة من ديارها (١٩))

ان هذا الفقر المدقع الذي بليت به القبائل البدوية ولد حالة من التفاوت الطبقى الذي يصطلح عليه في علم الاجتماع التناشز الاجتماعي وهو ما يرادف كل تغير يقع في المجتمع وكلما كان التغيير اكبر و أسرع كان التناشز الاجتماعي اشد و أكثر تنوعاً. وسبب التناشز إن عناصر التراث الاجتماعي لا تتغير كلها على وتيرة واحدة أو بسرعة واحدة فمنها ما يتغير بسرعة وعلى درجات متفاوتة وهذا يؤدي إلى ظهور بعض المشاكل الاجتماعية، والتي ظهرت بشكل بارز في اوائل العصر الاموى فقد كانت حياة معظم العرب واقعة تحت تأثير القيم البدوية بينما كانت حياتهم الفكرية متأثرة بالتعاليم الاسلامية، فكانوا يشعرون في باطن انفسهم بالتناقض بين ما يفعلون وما يقولون وقد ادى هذا الوضع المتناقض الى صراع نفسي من ناحية، والى قلق اجتماعي من ناحية اخرى (٢٠) لذلك لم ترفض تلك القبائل سياسة الدولة التعسفية فقط وانما رفضت التحول الاجتماعي برمته لأنه كبلها وكبت روح التحرر عندها لذلك نفرت من نظم الدولة وترى في انعامها وحياتها الرعوية ما بعض الشعراء البدو طلبا للعون والاستغاثة لتبين لنا ذلك الامر على اكمل وجه. وما شكاية الراعي النميرى بعض الشعراء البدو طلبا للعون والاستغاثة لتبين لنا ذلك الامر على اكمل وجه. وما شكاية الراعي النميرى لعبد الملك من تعسف المصدقين الظالمين الاصورة مختزلة لذلك الوقع (٢١) اذ يقول:

إِنَّ السُّعَاهُ عَصَوْكَ حِينَ بَعَثْتَهُمْ =وَٱتَوْا دَوَاعِيَ لَوْ عَلَمْتَ وَغُولاً إِنَّ اللَّذِينِ عَلَمْتَ وَغُولاً إِنَّ الَّذِينِ مَمَّا أَمَرتَ فَتيلاً إِنَّ اللَّذِينِ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعْدَلُوا =لمْ يفِعلوا ممّا أَمرتَ فَتيلاً أَخَدُوا الْعَرِيفَ فَقَطَّعُوا حَيْزُومَهُ = الأُ صِيْبَحِيَّهُ قَائِماً مَغْلُولاً



يَتْرُكُوا مــعقو لأ لفــــؤاده إذا ِ لَقِّحٍ مَجْزُ ولا =شُـمُس بـضبّعه تَركْنَ مــخافة الأمانة بعَدْلهَا =ظُلــُماً فَجَاءَ السّياطُ إجفيلا وغلولا يريدُ غيبته خيانهُ =غــــالي الأمانة لوْ أحطتَ بفعله = تَركَتَ منْهُ طَابِقاً مَفْصُولاً(٢٣) لذلك يذهب الدكتور حسين عطوان الى القول أن الظلم السياسي كان أكبر مشكلة استولت على تفكير الصعاليك، وان مشكلتهم الرئيسة الفقر الذي سعُوا للتغلب عليه بالاغتصاب والانتهاب (٢٤)

لذلك اسهمت سياسية الدولة المتعسفة والتبدل الاجتماعي في رسم ملامح الشاعر وتشكيل شخصيته المغتربة و زيادة حدّتها (فالأزمات التي يمر بها المجتمع قد تُريد الضغوط الحياتية للفرد مما يؤثر ذلك على بعض اهدافه الحياتية التي خطط لها في وقت مضى اذ يصعب عليه بلوغها مما يُعرضه لأحباط وعدم الرضا عن حياته كما ان غياب مصادر الاسناد الاجتماعي، اثناء تلك الازمات من المُمكن ان يبعث على الاغتراب ولعل من الاسباب الاخرى الباعثة على الاغتراب ضعف الإندماج بين الفئات على مراكز القوة والسلطة في المجتمع)(٢٥)

وهُناك ابعاد كثيرة للغربة، وهى الغربة النفسية والاجتماعية والفكرية والمكانية، ويمكن تحديد مفهوم الاغتراب إجزائياً. . . (بأنه اضطراب نفسى ينشأ من نبرات الشاعر التي يمرّ بها مع نفسه ومع الأخرين ولا تتصف بالتواصل والرضا ويُصاحبها العزلة والاحساس بالتمرد والرفض والتشاؤم الامر الذي يؤدى به الى الاستسلام، والابتعاد عن الاهل والأوطان) (٢٤)

### ثانيا: التأرجح بين الذات والقبيلة:

كانت نفسيه القتال الكلابي متأرجحه بين الوعى بقيمهٔ الانتماء لقبيلهٔ كليب - التي يفتخر بصراحهٔ نسبه فيها -وبين الشعور بالضياع والحزن والتمرد على تلك القبيلة التي لفظته اذ يقول:

انا ابن اسماء اعمامي لها وابي اذا ترامي بني الاموان بالعار

لا ارضع الدهر الا شدى واضحه لواضح الخد يحمى حوزه الجار (٢٧)

و يصرح فى مكان اخر عن نزقه وشعوره بالاسى لأنه ينتمى الى هذه القبيلة التى لم تحفظ له كرامته ويتمنى لو انتسب الى قبيلة اخرى اكثر عزة و كرامة اذ يقول:

يا ليتني والمني ليست بنافعهٔ لمالك او لحصن او لسيار

طوال انضيه الاعناق لم يجدو ريح الاماء اذا راحت بأزفار (٢٨)

واحيانا نراه يصيح فى وجه تلك القبيلة صياح اليائس الذى يرى فى انتسابه لقبيلته كلاب حتمية جائرة يتمنى استبدالها بقبيلة اخرى اذ يقول:



هل من معاشر غيركم ادعوهم فلقد سئمت دعاء يا لكلاب(٢٩)

وبواعث هذا الشعور تولد عند القتال بعد تخلى قبيلته عنه اثر جريمته النكراء التى كان سببها ابنة عم له يقال لها العالية بنت عبيد الله، فقد تعلق بها وصار يلتقيها خلسة بعد غياب اخيها زياد بن عبيد الله، فلما قدم فى احد الايام رأى القتال يتحدث إليها، فنهاه وحلف: لئن رآه ثانية ليقتلنه. فلما كان بعد ذلك بأيام رآه عندها، فأخذ السيف وبصر به القتال، فخرج هارباً، وخرج فى إثره، فلما دنا منه ناشده القتال بالله والرحم، فلم يلتفت إليه فبينما هو يسعى، وقد كاد يلحقه، وجد رمحاً مركوزاً - وقيل سيفاً - فأخذه وعطف على زياد فقتله. ثم خرج هارباً، وأصحاب القتيل يطلبونه حتى استقر به المقام لائذاً بجبل يقال له عماية فأقام فى شعب من شعابه (٣٠) فكان لهذه الحادثة اثر بليغ فى حياته اذ فقد بسببها قبيلته التى كانت تعنى فى ذلك الزمان الشى الكثير فهى المأوى والحجر الذى يلوذ به وقت الشدائد. ويبدو ان القتال كان يأمل من قبيلته الصفح بعد هذه الجريمة التى حاول تبرير حدوثها واظهار الندم مرات عدة فى قصائده اذ يقول:

نهيت زياداً والمقامة بيننا. . . وذكرته أرحام سعر وهيثم

فلما رأيت أنه غير منته. . . أملت له كفي بلدن مقوم

ولما رأيت أنني قد قتلته. . . ندمت عليه أي ساعة مندم (٣١)

غير ان هذه الكلمات وغيرها لم تجد نفعا ولم ينصت لها ابناء عمومته الموتورون كما ان عساكر الدولة صارت تطلبه وتبحث عنه في كل مكان حتى قيل انها خصصت جعلا لمن يقتله او يدل عليه. وامام هذه التحديات الجسام وجد القتال الكلابي نفسه مغتربا في شعب الجبل لا تؤانسه سوى الوحوش والكواسر اذ تقول بعض الروايات ان القتال اثناء مقامه في عماية الف نمرا فكان القتال اذا ذهب ليشرب قام النمر يحميه حتى يروى، واذا ذهب النمر ليشرب قام عليه القتال رقيبا حاميا، وكان النمر يصطاد الاروى ويلقيها بين يدى القتال فيأخذ منها ما يكفيه ويدفع الباقي الى النمر كما كان القتال يخرج في الصيد احيانا فيصيب ما يكفيه منه ويلقي ما فضل عن حاجته لصديقه الوحشي (٣٢) وهذه القصة ورد ذكرها بإسهاب في قصيدته:

كلانا عدو لو يرى في عدوه مهزا وكل في العداوة مجمل

تضمنت الاروى لنا بطعامنا كلانا له منها سديف ومأكل (٣٣)

ونجد ما يماثل هذه المعانى التى تضمنتها قصيدهٔ القتال فى اشعار الصعاليك فى الجاهلية والاسلام فهم يفضلون الوحوش على اهلهم كونها - كما يعتقدون - تحمل من العاطفة اكثر من مما يحمله البشر. وذلك امر طبيعى لما عانته هذه المجموعة من عزلة واغتراب اذ يقول الشنفرى

وَلَى دُونَكُمْ أَهْلُونَ: سيدٌ عَمَلَسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْالُ

هُــُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَودَعُ السِّرِّ ذَائعٌ لَدَيْهِمْ وَلاَ الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

وَكُلٌّ أَبِيٌّ بَاسلٌ غَيْرُ أَنَّني إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائَد أَبْسَلُ (٣٤)

وهذا إقرار صريح وواضح، من الشنفرى الذى ربط ألفه بينه وبين الذّنب، والضبع، وله مع الوحوش حكايات وأحاديث حميمه، إذ أصبحوا قومه وعشير ته الجدد؛ مستودع أسرار الشنفرى (٣٥)

۲۸۵

إذْ صار الذئب والأسد، معادلينٌ موضوعيين فى صورته الشعرية، التى يرى من خلالها أعزّ أصحابه (الصعاليك)، وأقربهم إليه – من بنى الإنسان– ويضفى عليهم صورة الفُتوّة، والنّور، والضياء(٣٣) كما فى قوله:

سَراحينُ فَتْيانٌ كَأَنَّ وُجوهَهُم مَصابيحُ أَوْ لَوْنٌ مِن الْماء مُذْهَبُ (٣٧)

وهذه الالفة التى جمعت بين الانسان والحيوان حتى لو اسقطناها على الصعاليك انفسهم وجعلنا من الحيوان الوفى معادلا موضوعيا للإنسان الصعلوك تبقى تلك الصور التى نسجها خيال الصعلوك ضربا من الخيال الجامح الذى يعبر عن (خرق محرّمات القبيلة وحرماتها، ومقدّساتها وطقوسها، والتمرد على سلطتها، ونبذ هيكل تنظيمها، ومؤسسات مجتمعها، ثم البحث عن مشروع مجتمع جديد، لا تذوب فيه فردية الإنسان، ولا تضمحل شخصيته في رموز القبيلة وأسيادها، ولذا نجد في شعر الصعاليك، - معظمه - النفور من ضمير (الهو)، وصيغة الجمع (النحن)، إلى ضمير (الأنا)، وإن استعمل في صيغة الجمع، فليس للذوبان في الجماعة، وإنما قصد التجمّع ولم الشتات، ولكن الصعلوك في آخر المطاف، يُبقى على تفرّده وفرديته وذاته، بجسده وغريزته وانفعالاته، وليس ذلك الإنسان الذي تضبطه قوانين الآخر، فينصاع لأوامره ونواهيه، فيحدد بمكان، ويُقيّد بزمان، وإنما ينشد حركية الزمان واستمراريته نحو المستقبل، مصيره مرتبط بالطبيعة، وليس بالقبيلة، فهو ويُقيّد بزمان، وإنما ينشد حركية الزمان واستمراريته نحو المستقبل، مصيره مرتبط بالطبيعة، وليس بالقبيلة، فهو انفصام مكاني، وتميّز عن الآخر)(٣٨)

وبالعودة الى قصيدة القتال الكلابى لا نجد فيها ما يومئ الى التآلف والصداقة التى ابدعتها كتب الادب وبعض الشروحات التى تناولت القصيدة، وانما فيها تصوير اللقاء بين اثنين متعاديين كلاهما يحذر شر الاخر ويحذر منه و يتوقاه (٣٩)

وكما يقول احسان عباس (فقد كفانا الجاحظ مناقشة هذه الاسطورة حين قال: واذا استوحش الانسان تمثل له الشيء الصغير في صورة الكبير وارتاب وتفرق ذهنه وانتقضت اخلاطه. أي ان هذه القصة التي تحدث بها القتال فإنها دليل على ما اصاب اعصابه من اضطراب وما داهم ذهنه من تفرق)(۴۰)وهذا الامر يحيل الى ما ذكرناه سابقا وهو ان الاغتراب يفضى الى ضعف القدرة على التكيف مع المجتمع وقد يتبع هذا الاحساس تخيلات وحدس منعش وهذيان وغير ذلك من التداعيات النفسية.

# صدى الاغتراب في أشعار القتال الكلابي:

جسدت بعض النصوص الشعرية التى انتجتها قريحة القتال الكلابى صورا واضحة لقهر الاغتراب، ويبدو ان طبيعة الشعر - بشكل عام - تستأهل هذا الامر(لأن كل شعر هو تدفقات صورية، لا محدودة، وتخليقات شعورية ولا شعورية ولا شعورية تأتى فى لحظة غياب الشاعر عن واقعه الحسى. فكل شعر - إذن- نوع من العلو المغترب فى وقت الخلق الشعرى)(۴۱). يضاف الى ذلك العوامل الظروف المادية والاسباب الشخصية التى تحدثنا عنها سابقا وبلا شك ان هذه الظروف والاسباب تلعب دورا كبيرا فى تغذية مضامين الشعر، وتحديد اتجاه الشعر او تغييره، وتتداخل العوامل تداخلا معقدا، الى الحد الذى تصبح فيه عملية فرز الاسباب الرئيسية عن



الثانوية في تحديد نوع المؤثرات (المغربة) من اشق العمليات التحليلية، لان نفس الشاعر المرهفة، والشديدة الحساسية، تكبر فيها الانفعالات او تصغر، خارج امكانات القياس الاعتيادية. فاستجابات الشاعر، وردود فعله، ليست بالأمر الذي يسهل تعين حدوده (٤٢) ومن هذه الردود التي تعكس نزق القتال الكلابي وانعدام التواصل بينه وبين قبيلته اذ (يعي وجوده بوصفه كيانا منفصلا عن الآخرين، وانه ما عاد منتميا نفسيا الى المجتمع)(٤٢) اذ يقول:

هل من معاشر غيركم ادعوهم فلقد سئمـــت دعاء يــال كلاب

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا ولحنت لحنا لحنا ليس بالمرتاب (٤٣).

ونلمح فى البيت الثانى قوله: (ولقد لحنت لكم) أى بينت لكم بواضح القول وفصيحه لكن دون جدوى فانتم لا تلبون المستغيث ولا تعبئون بقوله فهو يعزو اللوم إلى قبيلته التى تضببت عندها الرؤية وفقدت البوصلة فى تحديد الركب حادت عنه وليس هو من أصبح يبحث عن هوية وانتماء جديدين لذلك استحضر الشاعر فى بعض ابياته احيازا بديلة استعاض بها عن مجتمعه (القبيلة) اذ يقول:

جزى الله خيراً والجزاء بكفه عَمَاية عنّا أمَّ كل طريد

فلا يزد هيها القومُ إن نزلوا بها وإن أرسل السلطان كل بريد

حمتنى من كل عيطاء عيطل وكلّ صــفاً جمُّ القلاّت كؤُود(۴۵)

فعَمَاية - المكان القفر الاصم - الذى دعا له الشاعر بالخير هو المعادل الموضوعي للقبيلة والبديل الذى وجد فيه الملاذ الآمن الذى لم يجده في قبيلته، وهذا الفقد او الاستلاب يمثل صورة من صور الاغتراب التي يجنح معها الشاعر الى نسج صور مثلى بديلة تتلبد فيما وراء الأشياء. وفي نص اخر يقول الشاعر:

سأعتب أهل الدين مما يريبهم وأتبع عقلي ما هدي لي أوّل

أو الحق بالعنقاء في أرض صاحة أو الباســـقات بين غول وغلغل

وفي باحة العنقاء أو في عماية أو الأدمى من رهبة الموت موئل

ولى صاحب في الغار هدك صاحبا هو الجون الا انه لا يعلل

اذا ما التقينا كان جـل حديـثنا صمات، وطرف كالمعابل اطحل (٤٩)

وهنا يجد الشاعر مجتمعاً خاصاً يأتلف فيه الانسان مع الوحش بعدما رفض مجتمعه بكل ما يحمل من عادات وقيم ليقيم لنفسه (يوتوبيا) معزولة عن واقعه الأليم حتى لا يتحول الاغتراب إلى جحيم لا يطاق اذ سعى الشاعر إلى تجاوزه، أو التخفيف من حدته وآثاره من خلال منهج تعويضى الذى بنى فيه عالمه الخاص الممزوج بالخيال الحالم بعدما صار عالمه الواقعى مجسدا بهذا القول المنسوب الى الشاعر:

كأن بلاد الله فيه وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل

يؤدى ال\_يه، ان كل ثنية تيممها توحى اليه بقاتل (٤٧)

4 Y A



- \*كالانقطاع عند الزهاد والمتصوفة الذين يتحدثون عن غربتهم في هذه الدنيا.
- (۱) الاغتراب في حياة المعرى وادبه، د. حسين جمعة مجلة جامعة دمشق المجلد 27 العدد الأول + العدد الثاني 3711 العدد الثاني 3712 العدد الثاني العدد الثاني العدد الثاني العدد العدد الثاني العدد العدد الثاني العدد العدد العدد الث
  - (٢) ينظر:الغربة في الشعر الجاهلي، د. عبد الرزاق الخشروم، اتحاد الكتاب العرب، دمشق-١٩٨٢م: ٣٣
    - (٣) ينظر: الاغتراب في حياة المتنبى وادبه: ٢٣
- (۴) الشعور بالاغتراب عند ابى العلاء المعرى والبير كامو، عبد القادر توزان اطروحهٔ دكتوراه كليهٔ الآداب واللغات - جامعهٔ الجزائر ۲۰۰۵ –۲۰۰۶م:۲۴
- (۵) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدى، ـ المجلد الثالت، تحقيق: عبدالحميد هنداوى ـ منشورات محمد على بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط ١ ـ ٣٠٠٣ م، ٢٧١
  - (٤) ينظر: معجم المصطلحات الصوفية \_عبدالمنعم الحفني \_ط ١ \_دار المسيرة \_بيروت \_ ١٩٨٠: ١٨٨
- (٧) لسان العرب، ابن منظور ـ لسان العرب ـ الجزء الخامس ـ باب العين ـ مادهٔ غ ر ب ـ دار المعارف القاهرهٔ ـ مصر ـ ط۲ ـ ۱۹۸۱ م:۳۲۲۵
  - (٨) المعجم الأدبي \_ جبور عبدالنور \_ط ٢ \_دار العلم للملايين \_بيروت \_ ١٩٨٤: ٨٧
- (٩) الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر(مرحلة الــرواد)- دراسة محمد راضي جعفر، من منشورات اتحاد الكتاب العرب- دمشق ١٩٩٩م.: ۵
  - و ينظر: غربه المثقف العربي، د. حليم بركات، م المستقبل العربي، ع٢. تموز، ١٩٧٨: ١٠٩
- (۱۰) إشكالية الاغتراب في الفكر والأدب، ايمان العامري، مجلة اصوات الشمال، مجلة. عربية. ثقافية. شاملة http://www.aswat-elchamal.com/ar/?p=98&a=37256
- (۱۱) الاغتراب، نبش في مفهوم محوري داخل حقل الإنسانيات، د. فريد أمعضشو، صحيفة العلم، لسان حزب الاستقلال، ۲۰۱۲/۴/۲۶.
- \*- للاستزادة، يمكن الرجوع إلى (حسن حنفي: الاغتراب الديني عند فيورباخ، عالم الفكر، ع. ١، مج. ١٠، ١٩٧٩).
- (۱۲) ينظر: الاغتراب عند إيريك فروم، حسن محمد حسن حماد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ۱۴:۱۹۹۵
- (١٣) معادلة الاغتراب في الثقافة العربية المعاصرة، التحقيقة الغائبة قراءة جديدة في أوراق العباسيين، أ. د. على اسعد وطفة، مجلة حركة مصر المدنية مجلة مصرية علمانية ليبرالية إجتماعية

#### Posted on February 27, 2012

- (۱۴) ذاتنا المغتربة من منطلقات فكر اريك فروم، محمد طه حسين، الحوار المتمدن- العدد: ۴۷۶۰ ۲۰۱۵ ۲۷/۳ / ۲۷/۳
  - (١٥) د يو ان القتال الكلايي: ١٠
    - (١٤)المصدر نفسه: ١١





- (١٧) ينظر:التطور والتجدد في الشعر الاموى، شوقى ضيف، دار المعارف المطرية ط٢٩:٨
- (١٨)حول الاحوال الاقتصادية المتردية لصعاليك العصر الاموى ينظر: الشعراء الصعاليك في العصر الاموى
  - د. حسين عطوان، دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٧٠ م.:١٥١
    - (١٩) ينظر: ديوان القتال الكلابي: ٩
  - (٢٠) ينظر: وعاظ السلاطين، على الوردى، دار كوفان –لندن، ط٢، ١٩٩٥م:٣۶
    - (٢١) ينظر: ديون القتال الكلابي: ٩
- (۲۲) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحى، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، المؤسسة السعودية بمصر، مطبعة المدنى، القاهرة ۱۹۸۰م:۴۳۷
  - (۲۳) ديوان الراعي النميري، جمعه وحققه راينهرت، (بيروت، ١٠٤١هجرية ١٩٨٠م): ٢٣٧ ٢٣٢
    - (٢٤) ينظر: مقالات في الشعر ونقده، حسين عطوان، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧: ٧٣.
- (٢۵) يُنظر: مجلة ابحاث البصرة (العلوم الانسانية) بحث عن طبيعة الاغتراب لبعض النصوص (قديماً وحديثاً)، العدد(٣)، ٢٠١١.
  - (۲۶) المصدر نفسه: ۱۰۶
  - (۲۷) ديوان القتال الكلابي: ۵۵-۵۵
    - (۲۸) المصدر نفسه:۵۵
    - (٢٩) المصدر نفسه: ٣۶
- (٣٠) الاغانى، ابو الفرج الاصفهانى، تحقيق سمير جابر، دار الفكر، بيروت لبنان الطبعة الثانية، ١٩٨٨:
  - (٣١) ديوان القتال الكلابي: ٨٩
    - (٣٢) ينظر: الأغاني ٢٠- ٤٠
  - (٣٣) ديوان القتال الكلابي:٧٨
- (۳۴)ديوان الشنفرى، عمرو بن مالك جمعه وحققه وشرحه: إيميل بديع يعقوب، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ۱۹۹۶: ۵۹
  - (٣۵) المصدر نفسه: ٥٩
- (٣٩)شعر الصعاليك. قراءة في المتن، محمد بَرُّونة، المجلة الجزائرية في الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية
  - ع/۴۶/ و ۲۰۰۹: ۳۳
  - (۳۷) ديوان الشنفري: ۲۸
  - (٣٨) شعر الصعاليك. قراءة في المتن:٤٥
    - (٣٩) ينظر: ديوان القتال:٢١
      - (٤٠) المصدر نفسه: ٢١

4 V A





- ا (۴۱) الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي، عزيز السيد جاسم، دار الاندلس، بيروت–لبنان، ١٩٨٥م:١٠-
  - 11
  - (٤٢) المصدر نفسه: ١١
  - (٤٣) ديوان القتال الكلابي: ٣۶
- (۴۴) الصعلكة والاغتراب لدى الشعراء السريان-جان دمو وسركون بولص انموذجان، قاسم حسين صالح،
  - الحوار المتمدن العدد: 4٢٩٥ /١٢/۴ /٢٠١٣

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=389782

- (٤٥) ديوان القتال الكلابي: ٤٥
- (۴۶) المصدر نفسه: ۷۷–۷۷
  - (٤٧) المصدر نفسه: ٩٩